السلبية الاجتماعية

محمد سلامة الغنيمي

 نهى الإسلام عن السلبية المفضية الى انتشار المنكر, وعموم الفساد, والبعد عن رحاب الايمان وحياض الشريعة؛ التى تنظم حياة الناس وتضبط علاقتهم بربهم, وتنظم علاقتهم وببنى جنسهم وبغيرهم من الاجناس الاخرى, وحث على الإيجابية والفاعلية الاجتماعية, وحذر بأشد العبارات وبأغلظ الالفاظ من السكوت عن المنكر, مهما قل ضرره! "فليغيره بقلبه وهو أضعف الايمان", حتى لا تتحول بشاعة المنكر التى رسمها الاسلام فى قلوب المسلمين وأجراها على ألسنتهم وحرك بها جوارحهم, الى ظاهرة مألوفة مستأنسة, فسلامة الجزء من سلامة الكل .

 ويبدوا ذلك جليا واضحا من خلال التصور الإسلامى للمجتمع, فهو يرى المجتمع أشبه بالسفينة التى تُسيرها الرياح فى عرض البحر, مصير هذه السفينة معقود على جميع من هم فيها أو عليها؛ سواء بسواء, فإذا همّ فرد من أربابها بسؤ ولم يأخذ الباقين أو بعضهم على يديه, هلكوا جميعا بوبال ذلك السوء وبسلبيتهم تجاهه, فسلامة الجزء من سلامة الكل.

 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " رواه البخاري

 وقد وزع الاسلام المسئوليات كل بحسب طاقته وعلى قدر موقعه الاجتماعى, بحيث لا يتخلف عنها أحد, فسلامة الجزء من سلامة الكل " [أَلَا] كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وعبد الرجل [وفي طريق: والخادم/214] راعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مسؤول عنه، [وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا] ، [وهي مسؤولة] ، [سَمِعْتُ هَؤُلَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَحْسَبُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: - "والرجل في مال أبيه"] ، أَلَا كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رعيته". رواه البخارى فى الادب المفرد وصححه الألبانى.

 **وهنا تبدوا** خطورة السلبية الإجتماعية وأثرها فى فساد وزوال المجتمع بأسره! صالحه وفاسده, ويؤكد ذلك قوله تعالى:"وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً", وقد لعن الله تعالى مجتمعات بنى اسرائيل السالفة وصب عليهم غضبه وعقابه لأنهم " كانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ", بل كانوا يتولون الكافرين بدون انكار لكفرهم, حرصا على مصالحهم الدنيوية, فأزلهم الله بها وضيقها عليهم, فسلامة الجزء من سلامة الكل.

 ولكن هذه السنة الإلهية والحقيقة الكونية موقوفة على كثرة الخبث وتنامى الضرر واستطالة الاذى, حتى يألف الناس المنكر ويتعودون الفساد, فعن زينب بنت جحش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوما فزعا يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بأصبعيه: الإبهام والتي تليها. قالت زينب: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» . متفق عليه.

 وقد وعد الله نبيه الا يهلك أمته بسنة عامة, أو بعذاب واصب يفنيها؛ كما فعل مع الأمم السابقة, وذلك إذا تخلى المسلمين عن الإيجابية الاجتماعية " ... وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ". رواه مسلم

ولكن سنة الله ماضية, فالنكبات والمحن والانقسام الداخلى والهوان الخارجى وشيوع الأمراض الجديدة الفتاكة والزلازل والبراكين والسيول والأعاصير؛ كلها صور من صور العذاب والهلاك, لأمة تجاهلت الأمر بالمعروف وألفت المنكر.

وهاكم بعض بعض العقوبات العامة لبعض المنكرات, " يا معشر المهاجرين ! خصال خمس إذا ابتليتم بهن و أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون و الأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا و لم ينقصوا المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و شدة المؤنة و جور السلطان عليهم و لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء و لولا البهائم لم يمطروا و لم ينقضوا عهد الله و عهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم و ما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز و جل و يتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم" رواه ابن ماجة وصححه الألبانى .